مقالة

الحرب الروسية الأوكرانية

مقدمة:

بدأ الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 شباط 2022. وقد شنت روسيا الحرب على أوكرانيا بعد حشد عسكري ضخم، وبعد اعتراف روسيا بجمهوريتي دونيتسك ولوغانسك في شرق أوكرانيا، ودخول قوات روسية إلى منطقة الدونباس في شرق أوكرانيا في 21 شباط 2022. قامت القوات الروسية بقصف مواقع مختلفة في أوكرانيا في 24 شباط بعد خطاب للرئيس بوتين تحدث فيه عن عملية عسكرية خاصة في أوكرانيا تهدف إلى تجريدها من السلاح واجتثاث النازية فيها.

أسباب الحرب:

عند التدقيق في أسباب غزو روسيا لأوكرانيا نجد مجموعة من الأسباب والتي يمكن أن نوردها كما يلي:

أولا: قامت أمريكا ودول حلف الأطلسي بتوسيع الحلف من 16 إلى 31 دولة، علما أن معظم هذه الدول المنضمة حديثا كانت جزءا من حلف وارسو الذي كان جزءا من التحالف الشيوعي الموالي لموسكو، على سبيل المثال: بولندا وبلغاريا ورومانيا وهي من دول أوروبا الشرقية. وقامت أمريكا أيضا بمحاولة جر مجموعة من الدول التي تقع ضمن النفوذ الروسي إلى نفوذها مثل أرمينيا وجورجيا وأذربيجان في منطقة القفقاز، وأوزبيكستان وقرغيزستان في آسيا الوسطى.

فبعد التفكك المفاجئ للاتحاد السوفيتي في عام 1991 تم تفكيك حلف وارسو وكان من المفترض بالمقابل أن يتم تفكيك حلف الناتو، ولكن ذلك لم يحدث. فقد اكتفى الرئيس الروسي يلتسين في حينها بطمأنة الرئيس الأمريكي له بأن حلف الناتو لن يتوسع باتجاه روسيا. أما ما حدث فعلا بعد ذلك فهو قيام أمريكا بضم معظم دول أوروبا الشرقية لحلف الناتو. والحقيقة أن يلتسين كان ساذجا عندما ظن أن حلف الناتو سيبقى بعيدا عن روسيا. ولاحقا، أعلن حلف الناتو في قمة بوخارست 2008 أن أوكرانيا وجورجيا ستنضمان للحلف، وأن هذا الضم هو الطريقة الوحيدة لضمان الأمن والاستقرار في أوروبا.

ثانيا: لاحظت أمريكا وجود نزعات استقلالية لبعض الدول الأوروبية عن أمريكا وحلف الأطلسي، على سبيل المثال عمل فرنسا على إقامة جيش أوروبي مستقل عن الناتو، وأيضا تبعية أوروبا لروسيا في مجال الطاقة، والتقارب الروسي الألماني وخاصة في مجال الطاقة وبناء خطي نورد ستريم 1 ونورد ستريم 2 ما بين روسيا وألمانيا. وبالتالي عملت على استفزاز روسيا بالاستحواذ على أوكرانيا من خلال وصول زيلينسكي عميل أمريكا للحكم في كييف وذلك في 21 شباط 2014، وكان رد روسيا على هذا الاستفزاز هو احتلال جزيرة القرم في آذار 2014، ومن ثم اندلاع الاضطرابات في أقاليم شرق أوكرانيا الموالية لروسيا في نيسان 2014.

بدأت روسيا بحشد قواتها حول أوكرانيا في آذار 2021، وبعد ذلك في تشرين الأول/أكتوبر 2021، حيث أصدرت روسيا مطالبات لأمريكا وحلف الناتو لضمانات أمنية مكتوبة تتضمن التعهد بعدم ضم أوكرانيا إلى حلف الناتو، وتتضمن أيضا خفض قوات الحلف في أوروبا الشرقية، وهددت برد عسكري قريب إذا لم تلب هذه المطالب.

ثالثا: العمل على استنزاف روسيا وتحويلها إلى دولة فاشلة ومن ثم إلى دويلات صغيرة يمكن التحكم فيها عبر العملاء، وذلك كما حصل للخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. فمن المعلوم أن اقتصاد أمريكا يمر بالكثير من الصعوبات، مثل الدين الهائل البالغ 33 تريليون دولار، واهتراء البنية التحتية. وتعتبر روسيا فريسة مغرية لحل مشاكل الوحش الرأسمالي، حيث إنها تعتبر أغنى دولة في العالم بالموارد الطبيعية، مع مساحة تقدر بـ17 مليون كم^2.

رابعا: عندما أدركت الدولة العميقة في روسيا، ما يحوكه لها الغرب، جاءت بضابط المخابرات بوتين ليعيد ضبط الأمور ويوقف تمدد الغرب. وبالفعل بدأ بوتين بتحديث الجيش الروسي، وبناء الاقتصاد المتعب، والعمل على بناء تحالف مع الصين لمواجهة حلف الأطلسي. وقام بالتخلي عن الدولار تدريجيا في التعاملات التجارية الخارجية، على اعتبار أن الدولار هو الأداة الأساسية التي تستخدمها أمريكا للهيمنة الاقتصادية على العالم، ومن ثم لحقته الصين في ذلك ولكن بوتيرة أقل تسارعا.

الهدف من الصراع في أوكرانيا:

بالنسبة لروسيا فهدفها المباشر من هذه الحرب هو إرجاع أوكرانيا لنفوذها أو تحييدها على الأقل. وعلى المدى البعيد تسعى روسيا لتغيير الموقف الدولي وإيجاد عالم متعدد الأقطاب، وذلك بالاشتراك مع الصين، مقابل أحادية القطبية التي تمتعت بها أمريكا لمدة ثلاثة عقود.

أما هدف أمريكا فيتمثل في استنزاف روسيا وإلحاق هزيمة تاريخية بها تؤدي لتفككها إلى دويلات صغيرة يسهل استعمارها والسيطرة عليها، بالإضافة إلى تجريدها من منطقة نفوذها الحيوي في آسيا الوسطى والقفقاز وشرق أوروبا، وإضعاف أوروبا.

أما الدول الأوروبية فتهدف لحماية نفسها من الدب الروسي، وتعمل على هزيمة روسيا، على اعتبار أن انتصارها في الحرب سيؤدي إلى هيمنتها على أوروبا. والحقيقة أن حكام أوروبا يبالغون في خطر روسيا لتبرير مواقفهم الضعيفة تجاه السياسة الأمريكية أمام شعوبهم، ولتبرير تبعيتهم العمياء للسياسة الأمريكية. وهناك بعض الاختلافات في المواقف السياسية بين دول أوروبا تجاه الحرب، فمثلا يعتبر موقف بولندا ودول البلطيق شديد الالتصاق بالسياسة الأمريكية، بينما موقف المجر وصربيا يميل للتصالح مع روسيا.

أما الصين فهي الداعم الرئيس لروسيا في حربها ضد حلف الأطلسي في أوكرانيا، وهي تهدف من دعمها هذا لتقوية موقف روسيا ضد حلف الناتو لأنها تعلم أنها ستكون الدولة المستهدفة الثانية في حال سقوط روسيا في هذه المواجهة.

مستقبل الصراع في أوكرانيا:

تبدو روسيا غير قادرة على حسم الصراع لصالحها، وهي تعد نفسها لحرب طويلة الأمد وليس لعملية عسكرية خاصة كما سماها بوتين في بداية الحرب، موحيا بأنها ستكون حربا سريعة على هيئة الحرب الروسية الجورجية التي لم تستغرق أكثر من 5 أيام في آب 2008، وانتهت بانتصار روسيا في إقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية.

في الواقع إن هذه الحرب هي حرب استنزاف بين حلف الناتو وروسيا، وهي تدور في ظل سباق وتنافس شديد على النفوذ العالمي والكسب الاقتصادي. ويمكن حصر احتمالات الصراع في أوكرانيا في أربعة احتمالات وهي كما يلي:

أولا: هزيمة روسيا في الحرب، وهذا على الغالب لن يحدث، وإن حدث سيؤدي غالبا إلى تفكك روسيا إلى دويلات شبيهة بدول العالم الثالث، سرعان ما ستقوم أمريكا ودول أوروبا الغربية باستخدامها كمورد للمواد الخام وسوق استهلاكية.

ثانيا: استسلام أوكرانيا وهزيمتها، وهذا ما سيؤدي إلى تسهيل تحول العالم إلى نظام متعدد الأقطاب، وصعود روسيا والصين لمنزلة أكثر تأثيرا في صنع الموقف الدولي، ونزول أمريكا والدول الغربية عن مركز الهيمنة على السياسة العالمية.

ثالثا: تحول الصراع إلى حرب عالمية ثالثة، ودخول الأسلحة النووية في الحرب. وهذا سيؤدي غالبا إلى قتل مئات الملايين من البشر، وتدمير أمريكا وروسيا وأوروبا وما حولها من الدول.

رابعا: التوافق على حل سلمي من خلال المفاوضات، تتم فيه تسوية قضية أوكرانيا والقضايا الأخرى العالقة بين أمريكا من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى. وذلك على شاكلة تسوية أزمة الصواريخ في كوبا في عام 1961 بين خروشوف وكنيدي. حيث يمكن الاتفاق على حياد أوكرانيا.

وما يغلب على الظن أن الاحتمال الأخير هو الأقرب إلى الواقع، خاصة إذا فاز ترامب في الانتخابات الرئاسية القادمة، ولكن الاحتمالات الأخرى كلها ممكنة إلى حد ما.

مواقف لافتة للنظر في الحرب الروسية الأوكرانية:

هناك الكثير من القضايا والمواقف التي يمكن أخذ العبرة منها في هذه الحرب، ومنها:

أولا: بعد استقلال أوكرانيا مباشرة عن الاتحاد السوفييتي في عام 1991 كانت أوكرانيا تمتلك 3000 قنبلة نووية، وبالتالي كانت ثالث قوة نووية في العالم. ولكنها تخلت طواعية عن هذا السلاح مقابل تعهد روسيا وأمريكا بحمايتها إذا تعرضت لأي اعتداء خارجي.

ثانيا: كان من المتوقع أن يسيطر الجيش الروسي على أوكرانيا خلال أسبوعين من بداية الحرب، وهذا ما جاء على لسان رئيس هيئة الأركان الأمريكية. ولكن استبسال الجنود الأوكران أمام القوات الروسية وبوسائل عسكرية بسيطة، مثل آر بي جيه وصواريخ جافلين المضادة للدروع، وصواريخ ستينغر المضادة للطائرات، حال دون ذلك. وهذا ما يذكرنا بهزيمة أمريكا في أفغانستان وقبل ذلك في فيتنام.

ثالثا: بعد إعلانها للتجنيد الإجباري للحرب، فر من روسيا حوالي مليون شاب في سن التجنيد في يوم واحد للدول المجاورة، ما يدل على حرص هؤلاء الشباب على الحياة وعدم قناعتهم بالحرب.

رابعا: فقر روسيا للحنكة السياسية يتضح من خلال الكثير من المواقف، فمثلا عندما وصل الجيش الروسي في بداية الحرب إلى بعد 12 كم عن كييف العاصمة أعلن الرئيس الأوكراني قبوله للمفاوضات مقابل وقف إطلاق النار، وقد تبين لاحقا أن المفاوضات التي عقدت في بيلاروسيا كان هدفها كسب الوقت لإمداد أوكرانيا بالسلاح.

خامسا: الأيدي المرتعشة والمترددة لا تصنع التغيير. كلما كانت روسيا تضع خطوطا حمراء لأوكرانيا ودول الناتو، كانت هذه الدول تتجاوزها. مثلا: اعتبرت روسيا أن ضرب جزيرة القرم خطا أحمر، وتجاوزته أوكرانيا ولم تفعل روسيا شيئا مهما، ثم قال بوتين إن ضرب الداخل الروسي هو خط أحمر، وأيضا تم ضربه ولم تفعل روسيا شيئا، ما وضع الرئيس الروسي في حرج شديد أمام شعبه وأمام العالم، ولم تعد للتهديدات الروسية قيمة أو احترام.

الخاتمة:

لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية تنخرط الدول الكبرى في العالم في حرب خطرة قد تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة. وهذه الحرب وإن لم يكن المسلمون طرفا مهما فيها، إلا أنها من الأهمية بمكان بحيث إن متابعتها وتحليلها والنظر إليها من زاوية خاصة يعتبر من ضرورات العمل السياسي. فانشغال هذه الدول بحرب روسيا وأوكرانيا، بالإضافة للحرب بعد عملية طوفان الأقصى يمثل فرصة حقيقية للأمة الإسلامية للانقضاض على الأنظمة الفاسدة في بلاد المسلمين، وإقامة الخلافة على منهاج النبوة، وإسقاط النظام الرأسمالي برمته، والقضاء على كيان يهود، وإعادة عزة الأمة وانتصاراتها. قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

عبد الله حامد (أبو حامد)